

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

الأمير عبد القادر الجزائري في الأدب الفرنسي: دراسة من خلال الكاتب

-Charles Tailliar-

Emir Abdelkader Al-Jazaery in French literature : a study through the
writer-Charles Tailliar

لهلالي سلوى LAHLALI SELWA

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 ،

Mohamed Lamine Debaghin University Setif 2

lahlaliselwa@gmail.com

تاريخ القبول : 2021-10-20

تاريخ الاستلام: 2021-10-10

الملخص :

تتناول هذه الورقة البحثية موضوع نظرة الأدب الفرنسي لشخصية الأمير عبد القادر من خلال الكاتب شارل تيار في كتابه " الجزائر في الأدب الفرنسي الصادر في 1925 م " ، و الذي قاد مقاومة عسكرية طويلة الأمد ضد الاحتلال الفرنسي ووقف في وجه التوسع العسكري ، وقد عرف في الكتابات الفرنسية بالمتصوف والشاعر والمرباط والمحارب ، ويدرس هذا الكتاب الجزائر في المؤلفات الأدبية الفرنسية بصفة عامة ، غير أنه اهتم كثيرا بشخصية الأمير التي انعكست في الأعمال الأدبية الفرنسية تحديدا الشعر والمسرح حيث كتب عنه فيكتور هيغو ، غير أن كتاباته وأشعاره ارتبطت بمدى حسن علاقته بنابليون الثالث ، إلى جانب مسرحيات تناولت شخصيته في أطر ليست صحيحة ، وحاولت هذه الأعمال تحريف حقيقة وطنية وثورية الأمير عبد القادر الجزائري.

الكلمات المفتاحية: الأمير عبد القادر، الأدب الفرنسي، الشعر، المسرح، شارل تيار

Abstract:

This research paper deals with the subject of French literature's view of the personality of Emir Abdelkader through Charles Tailliar in his book "Algeria in French Literature, published in 1925", which led a long-term military resistance against the French occupation and stood in the face of military expansion, and was known in French writings. This book studies Algeria in French literary writings in general, but the book paid attention to the personality of the prince, which was reflected in French literary works, specifically poetry and theater, where Victor Higo wrote about him, but his writings and poems were related to his good relationship with Napoleon III, besides plays that dealt with his character in incorrect frameworks, and these works tried to distort the national and revolutionary reality of Emir Abdelkader Al-Jazaery.

Keywords : Emir Abdelkader ,French literature, price, theater, Charles Tailliar.

مقدمة:

باب الخيال الأدبي من خلال فنون الأدب المختلفة ، و اعتبر شارل تيار أحد المهتمين بالكتابة عن الأمير عبد القادر من خلال كتابه "الجزائر في الأدب الفرنسي" ، حيث عكس كتابه نظرة الأدب الفرنسي لشخصيته ومقاومته من خلال مقتطفات فنية من المسرح والشعر ، غير أنها شاركت في تزيف الصورة الحقيقية للأمير انتقاما منه على الهزائم التي ألحقها بفرنسا ، وقد حملت تلك الأعمال صورة الحقد والغضب التي تشبع بها الشعب الفرنسي لصمود الأمير عبد القادر .وعليه فإن إشكالية هذه الورقة تتحدد في : كيف صور شارل تيار شخصية الأمير عبد القادر من خلال نماذج من المسرح والشعر؟.

كان احتلال الجزائر في 1830 م بمثابة فتح آفاق جديدة لفرنسا الاستعمارية اقتصادية واستراتيجية ، وأصبحت الجزائر بمثابة اكتشاف جديد للفرنسيين والأوروبيين المجهورين بها ، وهو ما جعل الأحداث التي وقعت فيها بعد الاحتلال إلهاما جديدا للكتابات الفرنسية التي تعمقت في الدراسات الإستشراقية و الأنثروبولوجية للمنطقة ، وكانت المقاومات الشعبية وقادتها أهم حدث ركزت معها تلك الكتابات في منتصف القرن التاسع عشر ، خاصة مقاومة الأمير عبد القادر التي نالت شهرة واسعة في الجزائر وفرنسا ، وأصبحت شخصيته محل اهتمام الأدباء والكتاب للحديث عنها وفتح

المحور الأول: الصورة العسكرية والتاريخية للأمير عبد القادر

أولا- صدمة الاستعمار في الجزائر وظهور المقاومة:

أدت صدمة الاستعمار الفرنسي بالجزائر إلى سقوط مدينة الجزائر في يد الفرنسيين وتوقيع معاهدة الاستسلام في 5 جويلية 1830 م¹، وقد أدى فعل الاحتلال إلى رد فعل المقاومة الجهادية بالتلاحم الشعبي بين العسكري و الرّوحي من خلال العديد من المقاومات ، وتعدّ مقاومة الأمير عبد القادر رمزا تاريخيا لمفهوم رفض الاستعمار (الآخر)، وكانت شخصية الأمير عبد القادر من أبرز الشخصيات التي فرضت على الاستعمار الفرنسي الاعتراف به ، ونظرا لأصله الشريف فقد بوبع أميراً للجهاد ضد الاحتلال لما اعتذر والده محي الدين ، فاقترح ابنه عبد القادر ليقوم بهذه المهمة قائلا: "إنكم جميعا تعرفون أنني رجل سلام مكرّس نفسه لعبادة الله، وإن الحكم يقتضي استعمال القوة بغلظة وسفك للدماء، ولكن ما دمت تصرّون على أن أكون سلطانكم فإنّي أقبل ولكني أتنازل عن ذلك لصالح ابني عبد القادر"².

تمّت مبايعة الأمير عبد القادر في 27 نوفمبر 1832م ليقود المقاومة الشعبية ضد فرنسا، فصرح قائلا: "قبلت بيعتهم وطاعتهم، كما أنني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي إليه، مؤملا أن يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين ورفع النزاع والخصام من بينهم ومنع الأعمال المنافية للشريعة وحماية البلاد من العدو"، فلم يرض بتسمية نفسه باسم السلطان واكتفى باسم الأمير، وبعد مبايعته شرع في تنظيم دولته فاتخذ مدينة معسكر عاصمة له وأسس حكومة مركزية، وشكل مجلسا للشورى مكونا من 11 عضوا من العلماء و الأعيان و قام بتكوين جيش نظامي و اختار رؤساء الجند من ذوي الشجاعة و الإيمان وهم من زعماء القبائل³.

ويتصور المؤرخ المرحوم إسماعيل العربي أنّ الأمير عبد القادر كان هو المرجح لقيادة المقاومة لأنه يعتبر القدوة والنموذج الرائد في الجانب المعرفي، و أنه كان محبا ووفيا للعلم، إلى جانب امتثاله للقرآن الكريم و سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، لذلك كان يعمل على تعديل سلوكيات قومه وإقامة دولته على أساس مواقفه الإنسانية وأفكاره الوطنية حيث مزج بين الدين والسياسة، هذا ما جعل محمد بيرم الخامس يصف شخصية الأمير عبد القادر على أنه: "الأمير سيدي عبد القادر بن محي الدين الحسيني وقام لله حقّ

القيام وصحبته النّصرة الإلهية في كثير من الوقائع إلى أن كان في بعضها خارق للعادة من الكرامات"⁴.

وقد قاد الأمير عبد القادر العديد من المعارك التاريخية ضدّ فرنسا منها: معركة التّينة 27 ماي 1833 م: كانت هذه المعركة بقيادة الأمير عبد القادر حيث قام بمهاجمة حصن سانت أندري لكنه لم يتمكن من اختراق القوات الفرنسية نظرا للتحصينات التي قامت بها، وفي 30 ماي قام بمهاجمة حصن أورليان لكن القصف المدفعي حدّ من الهجمات واتجه الجيش نحو مدينة معسكر، ليقود مرّة أخرى معركة عين البريدية في 11 جوان 1833م: فكر الأمير عبد القادر في إعلان هجوم آخر على القوات الفرنسية بعزيمة، فخرجت قوّات الاحتلال الفرنسي واتّجهت نحو عين البريدية وتابعت تحركات الأمير عبد القادر وجيشه، إلى جانب معارك مشهورة في التاريخ كمعركة سيدي يوسف ومعركة سيدي يحي⁵.

وبعد عدّة معارك انتصر فيها أو انسحب، واجهته عدّة صعوبات خلال السنوات الأخيرة من مقاومته وذلك للظروف التي كان يمرّ بها منها نقض معاهدة التافنة عام 1839 م، و سيطرة القوّات الفرنسية على عاصمته معسكر ويذكر المؤرّخ كيميل روسي بأن أهم عامل ساهم في العملية هو تقسيم قوّات الأمير عبد القادر وضررها في الوقت المناسب⁶، مما جعل الأمير ينسحب إلى الجنوب بعاصمته الزمالة التي ضاعت منه في معركة طاحنة بعين طافين بجبال عمور، الشّيء الذي جعله يدخل الأراضي المغربية بهدف كسب تأييد ومعونة المغاربة وتأمين دائرته في الزمالة عندما يعود للجهاد في الجزائر⁷.

ثانيا- صورة الأمير عبد القادر في الكتابات الجزائرية والفرنسية:

- في الكتابات الجزائرية:

اهتمّ الكثير من المؤرخين والأدباء الجزائريين بشخصية الأمير عبد القادر نظرا لقيّمته التاريخية ورمزيّته الوطنية، واعتباره فارسا وأديبا وشاعرا ومتصوفا إضافة إلى صفاته التي تميّزت بالإنسانية والأخلاق السّامية، وقد كتبت العديد من الدراسات حول هذه الشخصية الفدّة من جوانب عديدة، فقد كتب المؤرّخ أديب حرب حول كفاحه العسكري والإداري قائلا: "لا أستغرب أن يكون عبد القادر بن محي الدين المتعلّق بالطريقة القادرية، قد أمضى شطرا من حياته

كما يورد لنا المؤرخ يحي بوعزيز قصة للأسرى الذين تمّ قتلهم في غياب الأمير عبد القادر ولما رجع وجدهم قد قتلوا قائلا: "لقد أودع الأمير بعض الأسرى عند خليفته أبو حميدي المكلف بحماية الدائرة داخل الإقليم الغربي ثم اتجه إلى الصحراء وبلاد القبائل ، وأمر صهره بأن يهتمّ بشأن الأسرى وطلب من أبو حميدي اللّحاق به فاعتبر ذلك بمثابة نزع الثّقة منه، لذلك بدأ يثير المشاكل فحرّض بني عامر لكي يعودوا إلى وطنهم أو أن يلتحقوا بسلطان المغرب الشيء الذي أثار غضب صهر الأمير الحاج مصطفى، ففكر في قتل الأسرى الفرنسيين لكي يوقف تلك القبائل، فتم قتل 287 شخصا وبقي حوالي 11 ضابطا، ولما عاد الأمير من جرجرة وسمع بذلك الخبر حزن كثيرا وتألّم لما حدث للأسرى الفرنسيين، وكتب الأمير عبد القادر رسالة يشرح فيها ما حدث فلم يتلقى أية إجابة لذلك أسرع في إطلاق سراح من بقي¹².

ويضاف لهذا الموقف المشرف للأمير، مواقف أخرى منها عندما كان في السجن ثمّ في الشام ثمّ في سجون فرنسا حيث ثبت على مبدئه ولم يتزعزع عن ذلك رغم إلحاح فرنسا عليه لتغيير رأيه وإعلان رضاه بالعيش في فرنسا، لكنّه في نفس الوقت لم يحقد على أحد وظلّ متمسكا بأخلاقه متسامحا كريما سمحا نحو أعدائه، وظلّ وفيا لمبادئ دينه وتقاليده أسرته ووطنه، فكان يقوم اللّيل ويعلم أبناءه على طريقة أبناء وطنه ويكثر من المطالعة¹³.

إن أعظم ما ميّز الأمير كإنسان وكوطني هو روحه التقدّمية وحبّه للنظام لأنه كان يؤمن بضرورة تطوير وطنه والدفاع عنه ، حيث أسّس الأمير جيشا حديثا مسلّحا بأحدث الأسلحة ووضع له ما استطاع من مدربين عصريين ، وأهمّ ما اشتهر به الأمير هو إعجابه بالتقدّم الإنسانيّ وأخذه بأسباب الحضارة الحديثة، لذلك يقول عنه المؤرخ أبو القاسم سعد الله: "إنه كان مجدّدا متسامحا، فقد استعان بالأجانب والمتعاونين كما نسميهم اليوم، لتطوير البلاد في النواحي التي شعر بأن إمكانياته لا تمده بما يريد كاستغلال المعادن، وضرب السّكة، وصناعة الأسلحة، والنسيج، وتدريب الجيش، وبالرغم من شدّة تديّنه فإنّه لم يكن متعصّبا بل كان متسامحا مع من خالفه في الدّين وقد اشتهر بالمعاملة الإنسانية لأسرى الحرب الذين كانوا يقعون في قبضته، فكان يرفق بهم ويؤانسهم وكثير منهم فروا إليه بعد إطلاق سراحهم¹⁴.

في العبادة والزهد في زاوية القيطنة وأنهى أيّامه بأعمال إنسانية وفقا لمبادئ الدين والشرعية حتى في أصعب الظروف وأحرجها، كان عميق الإيمان بالله وبالدين وشديد التمسك بالأخلاق والمبادئ الإنسانية، ففي سنة 1860 م دافع عن مسيحيّ الشام وحماهم، وقصد آنذاك الجنرال بوفور دوتبول قائد الحملة الفرنسية ليجتمع به ويطلب مساعدته في حل المشكلة⁸. كما تطرق أديب حرب لكيفية معاملة الأمير عبد القادر للأسرى حيث قال: "معاملة الأسرى كانت خير مثال لإنسانيته، إذ كانوا موضع اعتناء واهتمام كبيرين، وكانت زوجته أيضا تسهر على راحة الأسيرات وتقدم لهنّ المأكّل والمشرب"⁹.

أما كاتب الأمير السيد قدور بن رويلة فقد عدّد بعض من خصال الأمير عبد القادر فقال: "اعلموا -رحمكم الله- أن مولانا أمير المؤمنين -نصره الله- قد وفي ببيع نفسه من ربه، وانتصر لدين نبيّه محمد- صلى الله عليه وسلم- تسليما- وأعدّ للكفار ما استطاع من القوّة، وأجهد في إصلاح الأُمّة المحمّدية غاية الجهد، وأنفق نفيس عمره في ذلك بلا حدّ، وقاتل في سبيل الله، وغزا غزوات عديدة، أطعم الكفار فيها ألم السّهر، وسقاها العلقم والصبر، وعمّر بيت مال المسلمين وأنفقها في مصارفها فملكه الله أرضه من وجدة إلى تونس فنشر فيها أحكاما للشرعية المحمدية بعدما درست، وجعل في أقطار ملكه خلفاء بعد أن آيست، وجعل لكل خليفة عسكريا وإقامة ليحمي بيضة الإسلام من شوكة عبدة الأصنام، وينصر المظلوم ويقتص من الظالم، وبني -نصره الله- حصونا لبيت المال وعمل على كل حصن بلدة منها " تاقدمت " تازة " و"سعيدة" وغيرها، وسيزيد بحول الله وقوته، ما يغيب به الكفار ويكسر به شوكتهم ويقصم صدورهم، فصّد الله في أرضه صيتا عظيما، وملكا كبيرا مستندا فيه إلى أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمان بن هشام نصره الله¹⁰.

إضافة إلى ما كتبه عنه المؤرخ يحي بوعزيز في كتابه " الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري" قائلا: "الأمير عبد القادر ممن أودع الله فهم صفة الإنسانية، وعلى هذه القاعدة صار في معاملته الاجتماعية لكل الناس غنّهم وفقيرهم، وكان حرصه على الوفاء بالعهد و الوقوف عند حدود الوعد أشد ما يكون في مواقفه الإنسانية الكبيرة طيلة حياته"¹¹.

-الاتجاه العلمي: المتمثل في حفظ القرآن وتفسيره ورواية الحديث ودراسة الفقه والأصول والعلوم اللسانية.

-الاتجاه الأدبي: فقد كان دارسا لما أتيح له وحفظ الشعر من شعر القدماء الذي أعطاه القدرة الفنية وإن كان الاتجاه الأدبي هو أول اتجاه يتأثر به الأمير عبد القادر في شبابه¹⁷.

ويقول عنه الأغا بن عوده المزارى: "وهذا له خوض في جميع الفنون لم يقتصر على الفقه فقط، لا سيما علم الأدب والشعر كما شوه من عدة رسائله، فقد قال أهل دمشق: إنه حصل سرور عظيم حين صادف فرصة في حماية النصارى من الفتك بهم حيث الثورة التي وقعت عام 1860 م، وفرح بإعادته لما كان متخلفا به من الحومة في ميدان الحروب بعد التخلي عنها زمانا،....."¹⁸.

وقد وصل الأمير إلى درجة كبيرة من التحكم في نصوص الشعر والنثر والتي تم الاطلاع عليها من طرف العديد من الباحثين من بينهم الباحث محمد بشير بويجرة في كتابه "الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث" والذي قام بتخصيص جزء منه ليتحدث عن شعر الأمير حيث يذكر أبيات شعرية للأمير:

يا رب إنك في الجهاد أقمهم

فبكل خير عنهم فتفضل

يا رب يا رب البرايا زدهم

صبرا ونصرا دائما بتكمل

من خلال هذه الأبيات يقول الباحث بشير بويجرة عن هذا النص الشعري: "مثل هذه اللقطة الشعرية تحيل إلى تلك المرجعية المعتمدة في النضال والكفاح خلال تلك الفترة التي كثرت فيها الرباطات التي ينظمها العلماء وطلبتهم في شتى الأماكن الحساسة من الوطن..."، لهذا يصل إلى خلاصة بأن الرؤية الشعرية تكرر مبدأ هيمنة النص الشعري على المنظومة الإعلامية في استراتيجية الأمير العسكرية والحياتية¹⁹. إلى جانب ما كتبه عنه محمد شريف ساحلي من خلال كتاب "ABDELLKADER le Chevalier de la foi" عبد القادر فارس العقيدة"، حيث تناول الشخصية من زوايا وطنية وصوفية ودينية، و اعتبره مثالا للتسامح الديني من خلال ابتعاده عن التعصب، وفي نهاية طريقه اعتبر نفسه ميمًا قد انهى دوره وهو الان فرد عادي بسيط كرس وقته للعبادة والصلاة²⁰.

إن الميزة التي ميزت الأمير هو تكوينه العلمي وسيطرة النزعة الدينية في ثقافته، وقد اشتهر الأمير بين عشيرته وقومه بثقافة واسعة وذكاء حاد، وبرع في الكتابة وألف العديد من الكتب، كما نبغ في كتابة الشعر حيث ألف كتابا بعنوان "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" وهو عبارة عن رسالة في فضل العلم واثبات العلم الشرعي وفضل الكتابة، وله كتاب "المواقف" وهو عبارة عن أحاديث دينية وأخلاقية تدور حول شرح حديث نبوي أو تفسير آية قرآنية، وله ديوان وهو أهم إنتاج أدبي كان يتضمن آراءه ويعكس مشاعره، إلى جانب ديوان شعر بعنوان "نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر" وقد تناول الأمير في شعره العديد من الأغراض منها المدح والوصف وتوسل تضمنه خيال واسع وشعور قوي، وعبر عما كان يختلجه من أحاسيس فافتخر بما كان يمتاز به من علم وشجاعة قائلا¹⁵:

فتحن أكاليل الهداية والعلی

ومن نشر עליهم ذوي المجد قد طوی.

ونحن لنا دين ودينيا تجمعا

ولا فخر إلا ما لنا يرفع اللوى

فإن شئت علما تلقني خير عالم

وفي الروع أخباري غدت توهن القوى

وقد ذكر الأمير خصاله الحميدة وعلو همته من خلال

الأبيات الشعرية التالية:

لنا في كل مكرمة مجال ومن فوق السماك لنا رجال

ركبنا للمكارم كل هول وخضنا أبحرا ولها زجال

إذا عنها توانى الغير عجزا فنحن الراحلون لها عجال

ورثنا سؤدا للعرب يبقی وما تبقى السماء ولا الجبال¹⁶.

لهذا قال عنه شكيب أرسلان في كتابه "حاضر العالم الإسلامي، ج2" واصفا إياه قائلا: "نشأ في مهد العلم والتقوى واعتنى بالتحصيل جدّ الاعتناء حتى تفوق بالأدب والفقه والتوحيد والحكمة العقلية.. وكان مع ذلك لا يميل للمثاقفة بالسلح وركوب الخيل، بحيث نبغ من جهة عالما فاضلا ومن جهة ثانية ثقفا، فارسا، فجمع بين السيف والقلم".

وهكذا يكون الأمير قد نشأ وسط ثلاثة اتجاهات وهي:

-الاتجاه الصوفي: فتفتح عليه عقله، حيث نشأ وترعرع في أسرة دينية يسودها الطابع الصوفي وتوارث مشيخة

الطريقة القادرية جيلا بعد جيل.

- في الكتابات الفرنسية:

اهتمت العديد من الشخصيات الفرنسية التي عايشَت الأمير عبد القادر بتقديم وصف لشخصية هذا الرجل العظيم ، ومن بين هذه الشخصيات ليون روش الذي عاش مع الأمير عبد القادر لفترة من الزمن حيث قدّم وصفا عن صورة الأمير عبد القادر قائلا: "... رأينا وسط معسكر خيمة عظيمة يقف ببابها دائما جمهور غفير، إنها خيمة السلطان ... إلى أن يقوم بتقديم وصف دقيق عن شكل الأمير عبد القادر- رأيت عينيه الزرقاوين تحيط بهما أشفار طويلة سوداء لامعة تمنح النظر حدة ولطافة في أن واحد"، ويستمر ليون في وصف الأمير إلى أن قدّم صورة عن بساطة عيش الأمير وكرامته قائلا: "كان من المقرر أن نواصل إقامتنا بمدينة تاكدت بضعة أيام ، غير أن بريدا جاء ينبئ عبد القادر أنّ أمّ، ه لا لا فاطمة الزهراء قد أصيبت بمرض عضال فصمم على الرحيل لزيارة أمّه التي كان يحبّها حبّا كبيرا،... فسار الأمير ومن معه حتى رأوا في طريقهم بعض الأهالي الفقراء الذين يكادون يموتون من شدة البرد، يقول ليون روش بأن: " الأمير عبد القادر قام بنزع بنوس له وقدمه لأحد الأتراك البؤساء".²¹

كما اتّصفت شخصية الأمير وتميّزت عن غيرها من شخصيات عصره مما جعل العديد من الكتاب يهتمون به ، منهم الكاتب يوهان كارل بيرنت الذي كتب كتاب بعنوان الأمير عبد القادر لكن عنوانه الأصلي هو بالألمانية " ثلاثة سنوات من حياة ألماني بين العرب"، ومما جاء في هذا الكتاب من وصف للأمير قائلا: "الأمير عبد القادر رجل شاب في حوالي الثلاثين من عمره، وهو قصير القامة، رشيق الجسم، أبيض اللون، يرتسم النبل والحلم على ملامح وجهه وكانت عيناه ذوات لون أزرق، ولكنهما براقتان ولحيته سوداء منتظمة، وكان صوته عميقا وبه نعومة ورقة وكان يحمل وشما صغيرا فوق جبينه وخده الأيمن ويده اليمنى"²².

كما وصف معظم الكتاب الإنسانية التي كان يتميز بها الأمير عبد القادر، حيث كانت هذه النزعة الإنسانية تنعكس على فكره، فقد كانت إنسانيته تدعو إلى إعادة الكرامة إلى القيمة الإنسانية و للتحزّر، كما كانت تدعو إلى ترجيح التفكير العقلاني وتأبى العنصرية، فنظرة الأمير عبد القادر للإنسانية تعدّ نظرة العالم المتبصّر حيث يستوي فيها كل الناس ، ولا توجد أية فوارق سواء دينيّة أو خلقية ودليل

ذلك ما قاله الأمير: " لو أصغى إليّ المسلمون والنصارى لرفعت الخلاف بينهم و لكنهم لا يصغون إليّ".

وقد تجلّت إنسانية الأمير عبد القادر من خلال معاملته للأسرى و المسيحيين، فقد ذكر الفرد بواسينو أنّ الأمير عبد القادر كان لا يستخدم في كلامه مصطلح المسيحيين و الكفار فهو يرى بأنّ الفرنسيين بالنسبة له ليسوا جنسا مختلفا لكنهم أناس من دين مختلف جاؤوا ليحتلوا مكانا وليفرضوا أفكارهم ومعتقداتهم، و الجهاد في نظره عقيدة وهي نفس أفكار أتباعه²³، لذلك كانت معاملته للأسرى متسامحة تمثلت في سنّ مراسيم وطنية لبيان كيفية معاملة الأسرى، فحثّ كل خلفائه من الأغوات و القادة و رؤساء القبائل وخطب فيهم عن حسن معاملة الأسرى قائلا: "...فلقد تقرّر أنّ كل عربي يحضر جنديّا فرنسيا أو مسيحيا قيمتها ثمانية دولارات على الذكر و عشرة على الأنثى"، أي أن كل عربي بحوزته أسير وأحسن معاملته أخذ جائزته وإذا أساء إليه فقد الجائزة.

كان الأمير حريصا على تطبيق التعليمات من أجل معاملة الأسرى ،و ذلك من خلال التفريق بين معاملة الرجل و المرأة فقد أعطى المرأة مكانا أكثر من الرجل، فمن يأتي بإمرة مكافأته أكثر وذلك من أجل الحفاظ على المرأة الأسيرة، كما قام الأمير عبد القادر بتحريم قتل الأسير المجرد من سلاحه وما ميز الأمير كذلك في معاملته للأسرى التواضع فقد ذكر أحد الأسرى هذه الصفة في الأمير عبد القادر قائلا: "... عندما مررت بالسلطان حيّاتي بجلال فريد، وابتسامة مدهشة و أشار إلي بيده للجلوس، ثم سألتني رأيي في بناء تحصينات فأجبتة بأنها تظهر لي جيّدة ويبدو أنه سرّ كثيرا بجوابي"²⁴.

وكما سبق الذّكر في الكتابات الجزائرية التي تطرقت لأدب الأمير عبد القادر واهتمامه بالشعر، يذكر الأب لويس شيخو أنّ الأمير من أدباء الشام ويعده من رجال السيف ومن فرسان القلم حيث يقول: "ومن مبراته جازاه الله خيرا دفاعه عمن احتفى في داره من نصارى دمشق في مذابح سنة 1860 م وكان عددهم نحو أربعة آلاف، وكان الأمير عبد القادر مغرما بالعلوم محبا للعلماء يعظمهم ويحسن إليهم، قيل إنه كان يبلغ ما يوزع عليهم وعلى الفقراء مائتي ليرة في كلّ شهر"²⁵.

المحور الثاني: نظرة الأدب الفرنسي لشخصية الأمير

عبد القادر

- 4- Tragédie Malgache ?paris- impr, de la renaissance 1936(préface de charles tailliant).
- 5- Discours- charles. Tailliant,paris éditions Godde 1932.
- 6- Tripty que, henry jacomy avec cherles tailliant, paris 1930.
- 7- L'Algérie dans la littérature Francaise, Essai de Bibiographie méthodique et raisonnée jusqu' a l'année 1924,thèse complémentaire pour le doctorat, Es, lettres de L'université de paris, paris, E', champion, 1925.
- 8- L'Agérie dans la littérature Francaise, paris,Es, chempion, 1925²⁸.

ثانيا- الأمير عبد القادر في كتاب شارل تيار:

L'Algérie dans la littérature Francaise 1925

يعتبر كتاب شارل تيار حول الجزائر في الأدب الفرنسي 1925 م والمهدى إلى الوالي العام ستيق، من بين الدراسات الأدبية والتاريخية التي اهتمت بالجزائر كدراسة أنثروبولوجية وثقافية وحتى تاريخية لكن من زاوية نظر الآخر، وهي جزء من دراسات سابقة تناولت الجزائر كموضوع دسم للإنتاج الأدبي والفكري بالنسبة للفرنسيين.

ولم تكن صورة الجزائر مقترنة فقط بالدراسات العلمية والعسكرية، حيث كانت مكونا وموضوعا أساسيا في الآداب ومختلف ميادين تحديد الرواية والشعر والمسرح، وهذا منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830 م، حيث اهتم الأدباء والفنانون بالجزائر خاصة في الشق الاثنوغرافي والأنثروبولوجي، حيث ألهمت مدن الجزائر وصحاريها وأريافها وجمال نسائها والحياة اليومية هؤلاء من أجل إنعاش الخيال الأدبي خاصة الرومنسيون، غير أن هذا الزخم الأدبي والفني لم يهتم بمشاكل الجزائريين واستغل الصورة من أجل الإبداع (الرغبات الأدبية والفنية)²⁹.

يقر شارل تيار بهذه الصورة، حيث يقول: "إن الميدان الأدبي الفرنسي حقيقة غني وثرى بفضل وضعيّة فرنسا في الجزائر، ومن خلال الجزائر أقامت فرنسا تعليمها الكولونيالي"³⁰. و يقول أبو القاسم سعد الله³¹: "ومنذ الحملة انفسح المجال أمام الكتاب والفنانين والمؤرخين الفرنسيين ليكتبوا عن الجزائر، ولكن من وجهة نظر الغالب عن المغلوب

أولا- الأمير عبد القادر من خلال الأدب الفرنسي:
الكاتب شارل تيار نموذجاً

الكاتب شارل تيار Charles Taillairt :

هو من مواليد 18 سبتمبر 1869 م في ريمس (مارن) بفرنسا، والده جان بابتيست أوغست تيار وأمه مارجريت استيل دارنو، كان طالبا سابقا في جامعة السوربون ومدرسة الدراسات العليا لقسم الفلسفة، وحاصل على دكتوراه في الأدب من جامعة السوربون عام 1925.

عمل أستاذا معتمدا في ثانوية الجزائر من 11 أكتوبر 1897 م إلى 17 جويلية 1908 م، ثم مفتشا في أكاديمية فوا من 18 جويلية 1908 م إلى 12 جويلية 1910 م، ليعين مفتشا بمدرسة في ألي من 13 جويلية 1910 م إلى 30 سبتمبر 1913 م، ثم مفتشا بأكاديمية الجزائر من 1 أكتوبر 1912 م إلى عام 1921 م، ونائبا لرئيس أكاديمية الجزائر بين 1921-1926 م ثم رئيسا لها في أكتوبر 1925 م، ليرقى إلى عميد لأكاديمية مونبوليه ما بين 1932-1937 م، وتقاعد عام 1937 م، حائزا في نهاية مشواره على وسام جوقة الشرف و توفي في 23 أفريل 1958 م في نيس بفرنسا²⁶.

كتب شارل تيار العديد من المؤلفات التي ارتبطت تحديدًا بالتاريخ والأدب الجزائري، ويبدو أن انطلاقا أعماله كانت بعد حصوله على دكتوراه الآداب في عام 1924-1925 م، والظاهر أن شارل تيار قد حظي بثقة الإدارة الاستعمارية حيث يقول في رسالة لمديرية التعليم العالي مؤرخة ب 16 ماي 1911 م وكان قد عين مفتشا لأكاديمية Tarn - تارن - حيث يقول فيها: "... لقد عشت وقتا طويلا في الجزائر العاصمة وأعرف جيدا القضايا الجزائرية، وأعتقد أنني قد وضعت مخطط عمل حول سياسة فرنسا من منظور الأهالي المسلمين الجزائريين"²⁷.

وقد ألف شارل تيار كتبا تتعلق بالأدب والتاريخ وهي:

- 1- L'Agérie dans la literature. Francaise. (texte imprimé),Genève,1999.
- 2- L'Algérie dans la littérature Francaise.essai de Bibiographie méthodique et raisonnée jus qu' a l'année 1924, Genève, 1998.
- 3- Introduction a' L'ouvre de marcello- Fabri(texte imprimé/ charle- richard. Grass, Paris, 1939.

الاحتفالات المئوية بالجزائر والتي صدرت بعنوان: Histoire et toriens de l'Algérie 1830-1930 لشخصية الأمير عبد القادر ومقاومته بمشاركة أشهر المؤرخين الفرنسيين أمثال: Marcais, Braudel, Albertini, Alazard, Yver chares tailliant، وكانت هذه الأعمال برعاية المجلة التاريخية ويعتبر المؤرخ Georges yver أكثر من أسهم بالكتابة عن الأمير عبد القادر سواء ما تعلق بشخصيته أو مقاومته لفرنسا³⁶، وقد أسهم شارل تيار في هذا العمل الضخم وتحدث في دراسة مطولة عن موضوع جامعة الجزائر³⁷.

ويعدّ مؤلف شارل تيار من أهم المؤلفات التي اهتمت بالجزائر في الكتابات الفرنسية خاصة ذات التوجهات الأدبية منها، حيث دّعم كتابه حول شخصية الأمير عبد القادر بالمصادر الفرنسية تحديداً إلى جانب المصادر والأعمال الأدبية والفنية التي تعود لمنتصف القرن التاسع عشر باعتبار مقاومته ضد فرنسا حدثاً كبيراً، خاصة وأنّه اضطرّها لتوقيع المعاهدات وهزم جيوشها في العديد من المعارك ووقف موقف الندية معها، لهذا كانت أحداث الجزائر في هذه المرحلة مادّة دسمة للكتابة حولها بل واستغلالها من أجل خدمة الفنون و الآداب الفرنسية.

إنّ البحث عن الإنتاج الأدبي والفني حول الأمير عبد القادر قليل جداً إن لم نقل أنه نادر خاصة بالنسبة لإنتاج لأدباء الفرنسيين، حيث انصبّ الاهتمام على مقاومته العسكرية وثقافته أو مرحلة أسره بفرنسا ثم انتقاله لسوريا وعليه فإن الإبداع الأدبي كان ينتج بعين الآخر.

أما فيما يتعلق بالأعمال المسرحية، فيقول شارل تيار³⁸: "بعض المسرحيات الهزلية وبعض الكوميديا والميلو دراما والقليل من الدراما، هذا كل ما ألهمته الجزائر لمؤلفي الكوميديا أو الدراما، علاوة لن يكون صحيحاً تعويض الجودة بالكمية".

ويعتبر أبو القاسم سعد الله شارل تيار من بين الذين عالجوا موضوع الجزائر في الكتابات الفرنسية بدقة عالية، حيث تحدّث شارل تيار عن اهتمام الأوروبيين والفرنسيين بالجزائر حيث يؤكد أنّه لا أحد يزور الجزائر إلّا وحمل في يده دليلًا (الكتاب الدليل) من أجل الإرشاد، ومن أشهر هذه الكتب المرشدة التي ذكرها شارل تيار³⁹:

1- Itinéraire du royaume, d'Alger 1830.

والمنتقم عن خصمه"، كما يرى بأنّ صدمة الاستعمار الفرنسي بالجزائر قد تزامنت والحركة الرومانتيكية في أوروبا بما فيها فرنسا، حيث خلقت عالم خيال جعل الشعوب تعيش في خيالها وتفكيرها خارج واقعها خاصة وأن الجزائر -بالنسبة للأوروبيين- كانت مميّزة في نمط الحياة واللباس والعادات والتقاليد والأخلاق وحتى النمط العمراني والطبيعي، لهذا كانت وجهة سياحية مشوّقة حيث قدم السواح الأوروبيين والفرنسيين إلى جانب كبار الكتاب والأدباء، ومنهم حسب المؤرخ سعد الله- من استقر بالجزائر لكن ما جمع بين هؤلاء هو حبّ الفضول لاستكشاف جمال وغرابة الجزائر³².

وقد ذكر أبو القاسم بعض الأقلام المشهورة التي زارت الجزائر لأهداف أدبية وفنية، مثل: يوجين فرو منتان 1848م والذي زار الصحراء إلى جانب إميل ماسكري الذي استوطن الجزائر في السبعينيات وكان من الناشطين في المجلة الإفريقية والذي كتب عن كل مظاهر الحياة في مناطق التي زارها في الصحراء و الأوراس، ولهذا فإن أبو القاسم سعد الله يشبّه هذا الانجذاب الثقافي نحو الجزائر بالحملة العاطفية التي تشبه الحملة العسكرية، ولم يكتب فقط هؤلاء الأدباء حول الجمال والطبيعة بل أنتجوا كتباً أدبية وروائية حول شخصيات معروفة، حيث كتب هوق لورو عن الباشا الحاج محمد المقراني واستوحى الوقائع الروائية من وحي الأحداث، إلى جانب ألفريد نيتمون وايزابيل إيبهرارت وغيرهم³³. إلى جانب ما كتبه كيميل روسيه عن الجزائر بحيث اعتبر في زمنه مؤرخ الجزائر خاصة مؤلفه الذي حمل عنوان: Camille Rousset ;Conquête De l'Algerie 1841-1857, Librairie plon, paris, 1904 رغم الانتقادات التي وجهت له في حصوله على النصوص والدراسات التاريخية بدون جهد³⁴.

ورغم ذلك بقي الإنتاج الروائي والأدبي قليلاً بالمقارنة مع المدة التي وصلت إليها مرحلة الاحتلال في الجزائر، بالنظر إلى مظاهر الإلهام الفني التي كانت تقدمها الجزائر بأحداثها التاريخية وثقافتها حيث يرى شارل تيار أنه وإلى غاية 1925 م لم تقدّم الكتابات سوى 200 رواية وقصة كانت منشورة في المجلات والجرائد³⁵.

واهتمت العديد من الدراسات الكولونيلية بالجزائر كإطار جغرافي وبمقاومة الأمير عبد القادر كحدث تاريخي مهم خاصة مع بداية القرن العشرين، حيث تطرقت أعمال

مارسان وفونتان Du MERSAN et FONTAINE وهي مسرحية بفصل واحد فقط ، تصوّرنا في البداية أنّ الاسم مجرد اختيار لشخصية المسرحية التي تكوّنت من عبد القادر AbdelKader، وماري Marie وسانت كورين Saint chourin شخصية روبن Robin، لكن مضمون المسرحية وإحياءات الكلمات والعبارات تشير إلى شخصية الأمير عبد القادر، وقد تبادر إلى ذهننا طرحنا السؤال: لماذا تم اختيار اسم عبد القادر و سنة 1842 م تحديدا لتمثيل هذه المسرحية؟⁴³.

يبدو أنّ صورة الأمير عبد القادر الذي وقف في وجه فرنسا وهزم جيوشها وصمد لسنوات، قد أزعجت حتى الجماهير الفرنسية التي استاءت لعدم قدرة فرنسا على القضاء عليه خصوصا أنّ أبنائها مجندون في الجزائر، إضافة إلى اعتراف فرنسا به من خلال إمضاء المعاهدات والاتفاقيات كلّ هذه الأمور أغضبت الشارع الفرنسي، وبعد سقوط عاصمة الأمير عبد القادر (زماله في 11 نوفمبر 1842 م) حيث استطاع العدو الاستيلاء عليها و فقد الأمير فيها رفقائه وأزواجه وأولادهم (قتلى، أسرى) واستشهد فيها محمد بن علال، وما أثر في الأمير هو فقدان مكتبته الخاصة التي كانت ثرية بالمخطوطات التي أتلّفها الجيش الفرنسي.⁴⁴

إنّ تأليف هذه المسرحية بمثابة استهزاء بالمقاومة الجزائرية وتحديدًا هو انتقام نفسي لما فعله الأمير بفرنسا، حيث جاءت المسرحية في قالب هزلي يحاكي شخصية ضعيفة لعبد القادر يجسّد فيها سانت كورين شخصية قادمة من فرنسا، وهو محتال قدم للجزائر من أجل الحصول على المال عندما يلتقي بعبد القادر ويتعرف عليه تبدأ المسرحية، حيث يراهن سانت كورين على استغلال عبد القادر قائلا: "سأمر كل عمليات المالية أمام أعينه... وسأخذنا جميعا معه"⁴⁵:

Saint –Chourin ; Je fais passer sous ses yeux .

les différents banquistes ...et il nous emmène tous . avec lui

ويواصل سانت كورين دوره بأن ينحني لتحية عبد القادر ويرد عليه عبد القادر السلام ويخاطبه سانت كورين: "سلام يا ابن الصحراء منزلي ينتظرك بشغف".

Saint –Chourin : Salut à toi , enfant du désert

; ...ma maison languissait dans l'attente , sans toi

Abd-el-kader ; Couvrez – القادر فيرد عليه عبد القادر

vous danc,monsieur ;

2- Pignel, Guide du voyageur et du colou- de paris à Alger et dans l'Algérie 1836.

3- Behag. Hel : Guide à Alger 1836.

4- Henrichs : Guide du colou et de l'ouvrier en Algérie 1843.

5- Que tin : Guide du voyageurs en Algérie 1847.

6- Bérard : indicateur général de l'Algérie 1848.

7- Piesse, itinéraire historique et descriptif de l'Algérie 1862.

8- Bel : tlem on et ses environs 1909.

9- Bastide, sidi-Bel- Abbés et son arrondissement 1881.

10-Dallés : Alger, Boufarik, Blide et leurs. Environs, 1877.

إلى جانب العشرات من الكتب المرشدة التي ألّفها المهتمون بالجزائر ومن الكتاب والأدباء الذين زاروا الجزائر ذكر شارل تيار:

⁴⁰ Fromentin, Th. Goutier, les Goncourt, Flaubert Daudet, Feydeau, paul Bourde, Maupassant ,jean Lorrain.

ثالثا- الأمير عبد القادر في المسرح الفرنسي:

يقول أبو القاسم سعد الله⁴¹: "لاحظنا في المسرحيات التي عالجت موضوعات ترجع إلى العهد العثماني أو عهد الأمير عبد القادر، وكان بالإمكان إنتاج روايات تاريخية وأخرى شعبية ورومانتيكية، ونفسية... أما الموضوعات نفسها فيذكر الدارسون أن الكتاب قد رجعوا إلى الشخصيات التاريخية مثل سانت أغسطين وإلى الكنيسة الإفريقية، كما استوحوا موضوعات من العهد العثماني"، ويؤكد شارل تيار هذا الكلام حول جزائرية المواضيع حيث يوضّح أنّ أسماء الشخصيات ومسرح الحدث ذاته جزائرية⁴².

في إطار حديث شارل تيار عن تاريخ الجزائر في مرحلة الاستعمار، تطرق إلى ردود فعل المقاومة وتحدث عن مقاومة الأمير عبد القادر عسكريا وقد لاحظنا أنّ ما ذهب إليه المؤرخ سعد الله حول الحديث في المسرحيات عن أحداث من جهاد الأمير عبد القادر صحيح، و خلال تصفحنا للكتاب استوقفتنا مسرحية هزلية كوميدية بعنوان: "عبد القادر في باريس" مثلت لأول مرة في باريس في المسرح بتاريخ 15 ديسمبر 1842 م حسيما ذكره شارل تيار، وذكر أنّها من تأليف دو

1852 م بعد شهر من إطلاق سراح الأمير عبد القادر من سجن امبواز، وإذا علمنا عزم الشاعر على التشهير بنابليون الثالث أدركنا بأنه اتخذ الأمير مطية لبلوغ مأربه، وقد كان الأمير بالفعل مطية لفكتور هيغو وهذه أولى المآخذ على الشاعر". إلى جانب غض الطرف عن جرائم جنرالات فرنسا وعلى رأسهم بيجو أثناء حربهم مع الأمير عبد القادر حيث لم يذكر فكتور هيغو إطلاقا ما فعله هؤلاء بالجزائريين من حرق وتقتيل وتنكيل وإبادة جماعية، واكتفى بتصوير الأمير عبد القادر بصورة سيئة جدا ومجانبة للحقيقة والتاريخ.⁵¹

وهذه مقتطفات من القصيدة بالفرنسية:

Lorsque Abd- el- Kader dans sa geole

Vit entrer l'homme aux yeux étroits

Que l'histoire appelle-ce drole-

Et Troplong –Napoléon trois...

L'homme-louche de l'Elysée

Mais au fond , toutes ses penées

Méprisaient le sanglant gredin ;

Le tigre aux narines froncées

Flairait ce loup avec dédain

Lui l'homme fauve du désert

Lui, le sultanné sous les palmes,

Le compagnon des lions roux,

Le hadji(l) farouche aux yeux calmes,

L'Emir pensif, féroce et doux.....

.....

Lui, le beau soldat, le beau prêtre...

Bondissait, ivre de carnage,

Puis tombait, dans l'ombre, à genoux ;

Qui, de sa tente ouvrant les toiles

Et priant au bord du chemin,

Tranquille, montrait aux étoiles

Ses mains teintes de sang humain,

Qui donnait à boire aux épées,

Et qui, rêveur mystérieux,

Assis sur des têtes coupées

Contemplant la beauté des cieux⁵².

الترجمة بالعربية:

وبعد الكلام والحوار والمجاملة بين الشخصيتين يصل إلى مقطع يخاطب فيه سانت كورين عبد القادر: " أنت معروف لدى البدو وعظيم، فيجيبه عبد القادر: بدوي، لا أقول لا، يظهر هذا في ثيابي، ويعلق سانت كورين قائلا: " لم أر قط مغاربا أجمل منك"⁴⁶.

Saint –Chourin ; Vous êtes connu , o grand

Bédouin.

Abd-el-kader ; Bédouin, je ne dis pas non ! ça se

voit à mon costume.

Saint –Chourin ; Je n'ai jamais vu de plus beau

Maure.

وتستمر المسرحية بنفس نوعية الكلمات ويكمن الجزء الكوميدي – حسب تعليق شارل تيار- في ردود فعل عبد القادر الذي يرى نفسه فرنسيا بلباس بدوي يصل في النهاية إلى نتيجة وهي مدى طيبة الفرنسيين ، و تستكمل المسرحية إلى مقطعها الأخير فيقول سانت كورين⁴⁷: " لقد تركت مؤخرا خيمتك، فيجيبه عبد القادر الذي لم يفهم كلمة خيمة بالفرنسية : عمتي cacaola وفي آخر مقطع من المسرحية الطويلة نلاحظ جزءا منها جاء فيه " أرادوا اختطافه لأنه رفض أن يطلق عليه لقب الأمير"⁴⁸.

رابعا-صورة الأمير عبد القادر في الشعر:

اختار شارل تيار في باب الشعر الحديث عن الأمير عبد القادر من خلال أشعار فكتور هيغو الذي يعتبر من معاصري الحملة الفرنسية على الجزائر⁴⁹ ، وكان شديد الاهتمام بالأمير عبد القادر بعد دخوله مرحلة المعارضة ضد النظام منذ 1851م وتحديدًا ضد نابليون الثالث الذي كان في نظره مدمر الجمهورية الفرنسية الثانية، ومنه انطلق في نقد وهجاء نابليون الثالث وقد نظم فكتور هيغو ديوانا سماه ب: Les lhâtiments, livre III, l'orient a le datée de jersey, 50. novembre 1852.

وبإلقاء نظرة على مضمون القصيدة فإن فكتور هيغو قد صور الأمير عبد القادر كشخصية مجرمة في حق الفرنسيين واستخدم مصطلحات بعيدة جدا عن الحقيقة الإنسانية والأخلاقية للبطل الأمير عبد القادر من خلال أوصاف الرجل المتوحش، نمر الصحراء، البربري، المرابط،... ويبدو أنه تعتمد تشويه صورة الأمير عبد القادر حيث يذكر مرزاق بقطاش عن القصيدة: " لقد نظمت في شهر نوفمبر

عندما أبصر عبد القادر وهو في زنارته
بالرجل الضيق العينين
الذي يسميه التاريخ
نابليون الثالث
عندما أبصر به قادما نحوه
يتبعه القطيع الذي يخدمه
رجل الأليزيه المشبوه- (نابليون الثالث)
وهو الرجل نمر الصحراء- (عبد القادر)
هو السلطان الذي ولد تحت النخيل
رفيق الأسود الحمر
الحاج الشرس ذو العينين الهادتين
الأمير المتأمل الضاري اللطيف
هو الشخص العبوس الفتاك
اللطيف الشاحب ذو البرنس الأبيض
الذي ينقض وقد تعطش للتذبيح
ثم يهوي ساجدا في الظلام
هو الذي يفتح خيمته على النجوم
ويصلي على طرف الطريق
هادئا، ويرفع للنجوم
يديه المملختين بالدم البشري
هو الذي يسقي السيوف
الحالم الغريب الذي
يجلس على الرؤوس المقطوعة
ويتأمل جمال السموات
عندما أبصر بتلك النظرة المريبة المخادعة
وتلك الجبهة التي أذلها العار
وهو الجندي الجميل والواعظ الرائع
قال: من هذا الرجل؟
لقد تردد أمام هذا القناع المنحط ذي الشاربين
غير أنه قيل له:
"انظر أيها الأمير إلى هذه الفؤوس!
هذا الرجل هو قصير قاطع الطرق
"اسمع إلى شكاوي الأمهات
وإلى هذا الصخب المرتفع
هذا الرجل تلعه الأمهات
وتذمه النسوة جميعا
إنه يجعلهن أرامل، ويؤرقهن

لقد استولى على فرنسا وقتلها
وهو اليوم يأكل جسده
حينذاك ارتفعت يد الحاج بالتحية
غير أنه في قرارة نفسه
كان يذم هذا الخائن السفاح
إنه نمر أسود الشدق
يشتم هذا الذئب ويستنكره⁵³.

الخاتمة:

في نهاية ورقتنا البحثية هذه حول موضوع الأمير عبد القادر في الأدب الفرنسي من خلال الكاتب شارل تيار ، استنتجنا مجموعة من النقاط والمتمثلة في :
كان للاستعمار الفرنسي بالجزائر وبداية مشروع الهيمنة والتوسع عاملا كافيا لظهور المقاومة الشعبية، وقد اتخذ هذا الفعل أشكالا مختلفة غير أن الجانب الجهادي العسكري كان الغالب عليه، ويعتبر الأمير عبد القادر الجزائري أحد أبرز الوجوه الجهادية ، استطاع فرض نفسه ودولته أمام فرنسا ومارس النديّة العسكرية والدبلوماسية ، و أكثر من هذا فقد كان بمثابة المنظر الروحي والوطني من خلال أفكاره وأراءه وأخلاقه وفلسفته ، وهو ما جعله محل اهتمام الكتاب والدارسين سواء الجزائريين وحتى الأجانب وتحديدًا الفرنسيين ، حيث تناولت كتاباتهم الجوانب الانسانية والعسكرية ، واهتمت به شاعرا وفيلسوفًا ومتصوفًا وفارسا .
لقد كانت شخصية الأمير عبد القادر مادة دسمة وغنيّة بالنسبة للكتاب الفرنسيين ، ورغم الكتابات القليلة عنه في مجال الأدب ، إلا أن الأدب الفرنسي وتحديدًا في القرن التاسع عشر قد اهتم بصورة ضيقة به ، ويعتبر شارل تيار أحد الكتاب والأدباء الذين اهتموا بجمع ما كتب عنه من روايات ومسرحيات وشعر ، حيث نقل لنا صورة الأمير عبد القادر في المسرح الفرنسي الذي تعمّد تقديم صورة مغلوطة عنه، وهي مسرحية نادرة عن شخصية مسرحية باسم "عبد القادر في باريس" ، ومن خلال تتبع الأحداث وتفسير الكلمات والمعاني استنتجنا أنها تتحدث عنه بطريقة استهزاءيه انتقامية ، وقد تزامن تمثيل المسرحية 15 ديسمبر 1842 م وسقوط عاصمة الأمير عبد القادر في 11 نوفمبر 1842 م ، وكأنها بالنسبة للفرنسيين نهاية الأمير الذي استمر في محاربة فرنسا بعدها بسنوات ، وهي نفس الوضعية في الشعر الذي تناول شخصية الأمير عبد القادر من خلال أشعار فكتور هيغو ،

11. محمود بوعيداد، عبد القادر الإنسان، مجلة الثقافة، عدد خاص، السنة 13، العدد 75، جوان 1983 م.
12. مرزاق بقطاش، الأمير عبد القادر في قصيدة للشاعر فيكتور هيفو، مجلة الثقافة، عدد خاص، السنة الثالث عشر، العدد 75، 1983 م.
13. مصطفى أوشاطر، شخصية الأمير عبد القادر الأسطورية في الميخيل الشعبي الجزائري، بحوث سيميائية، المجلد 7، العدد 12، 2017 م.
14. يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999 م.

الكتب الأجنبية :

15. Alfred Boissenot , l'islam et la guerre d' Algerie ; C.E.L.Editeur ;1977..
16. Annuaire civil et Militaire De l Algerie pour 1848 , Librairie De L.Hachette Et C, paris , juillet 1848 .
17. Annuaire civil et Militaire De l Algerie pour 1848 , Librairie De L.Hachette Et C, paris , juillet 1848.
18. Camille Rousset , Conquête De l Algerie 1841-1857, Librairie plon, paris, 1904 ,
19. Charles Taillairt, L'Algérie dans la littérature Française, paris, E', champion, 1925.
20. Histoire et historiens de l'Algérie, collection du centenaire de l'Algérie , ouvrage publié, soins de la revue historique, paris, librairie, félix al can.
21. Jean- François- condette publications de echerche pédagogique, Année 2/12/2006.
22. Mohamed Chrif Sahli , Abdelkader le chevalier de la foi , ANEP, 2012.

الهوامش:

- ¹ - يعتبر التاريخ الفرنسي معاهدة الاستسلام واحدة من أهم المعالم الرئيسية في تاريخ الجزائر من خلال شروط الاستسلام التي تم تنظيمها بين الداي وفرنسا ، حول تفاصيل هذه الفكرة ينظر : Annuaire civil et Militaire De l Algerie pour 1848 , Librairie De L.Hachette Et C, paris , juillet 1848.
- ² - شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر، تع وتق: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية، ص 56.

هذا الأخير الذي أثرت عليه الحياة السياسية وهاجم الأمير عبد القادر وجعل مقاومته تبدو وكأنها أعمال إجرامية في حق الفرنسيين متناسيا جرائم فرنسا في الجزائر ، وحاول استخدام صورة الأمير من أجل مهاجمة وانتقاد نابليون الثالث ، ولهذا كانت صورة الأمير في النصوص التي جمعها شارل تيار تعكس العداء الدفين للرجل ولأعماله بسبب الهزائم التي ألحقها بفرنسا ، وما كان الأدب الفرنسي عموما رغم بعض الاستثناءات سوى انعكاس لسياسة الإدارة وصانعي القرار في باريس .

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 1، عالم المعرفة، طبعة خاصة، الجزائر، 2009.
2. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 م، ج 6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998 م.
3. أنيسة بركات، الجانب الأدبي من شخصية الأمير عبد القادر، مجلة التاريخ، عدد خاص ، السنة 13، العدد 75، الجزائر، 1983.
4. سامية أبو عمران، الأمير عبد القادر الجزائري رمز المقاومة الجزائرية، مجلة المصادر، العدد 11، 2005 م.
5. شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر، تع وتق: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية.
6. الطيب بودريالة، صورة الجزائر في الرواية الفرنسية الحديثة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 2، العدد 2، 2010 م.
7. عبد الحميد حاجيات، الأمير عبد القادر وإنتاجه الأدبي، مجلة التاريخ، عدد خاص، السنة 13، العدد 75، الجزائر، 1983.
8. عبد القادر المليق، سلوكيات وأخلاقيات الأمير عبد القادر الجزائري وجنده في الحرب معاملة أسرى الحرب من الفرنسيين أنموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، المجلد 9، العدد 1، 2019 م.
9. قوراري سليمان، شخصية الأمير عبد القادر وتجلياتها من خلال بعض المؤلفات، مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية، العدد 31، 2014 م.
10. محمود بوعيداد، أهم الأحداث في حياة الأمير عبد القادر، مجلة الثقافة، عدد خاص الذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، السنة الثالثة عشر، العدد 75، 1983 م.

- ²⁷ -ibid , p 347.
- ²⁸ - data, bn F.Fr/Fr/ documents.
- ²⁹ - الطيب بودريالة، صورة الجزائر في الرواية الفرنسية الحديثة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 2، العدد 2، 2010 م، ص ص 8-9.
- ³⁰ - Charles Taillairt, L'Algérie dans la littérature Française, paris, E', champion, 1925, p 662.
- ³¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 م، ج 6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998 م، ص ص 379-380.
- ³² - نفسه، ص 381.
- ³³ - نفسه، ص ص 384-385.
- ³⁴ - حول هذا الكتاب والتفاصيل الواردة فيه عد إلى : Camille rou sset , La conquête de L'Algérie 1841-1857
- ³⁵ - Charles Taillairt, op- cit, p 519.
- ³⁶ - Histoire et historiens de l'Algérie, collection du centenaire de l'Algérie ,ouvrage publié, soins de la revue historique, paris, librairie, fêlix al can, p p 267-290.
- ³⁷ - ibid, pp 363-380.
- ³⁸ - Charles Taillairt, op- cit, p 493.
- ³⁹ - ibid, pp 324-325.
- ⁴⁰ - Charles Taillairt, op- cit, p325 .
- ⁴¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 385.
- ⁴² - Charles Taillairt, op- cit, p 494.
- ⁴³ - ibid, p 496.
- ⁴⁴ - محمود بوعبيد، أهم الأحداث في حياة الأمير عبد القادر، مجلة الثقافة، عدد خاص الذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، السنة الثالثة عشر، العدد 75، م، 1983، ص 231.
- ⁴⁵ - Charles Taillairt, op- cit, pp 496-497.
- ⁴⁶ - ibid, p497.
- ⁴⁷ - ibid, p p 498-499.
- ⁴⁸ - Charles Taillairt, op- cit, pp 497-498.
- ⁴⁹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص ص 384-385.
- ⁵⁰ - Charles Taillairt, op- cit, p 446.
- ⁵¹ - مرزاق بقطاش، الأمير عبد القادر في قصيدة للشاعر فيكتور هيغو، مجلة الثقافة، عدد خاص، السنة الثالث عشر، العدد 75، 1983 م، ص 314.
- ⁵² - Charles Taillairt, op- cit, pp 446-447.
- ⁵³ - مرزاق بقطاش، المرجع السابق، ص ص 315-316. وبالنسبة لترجمة القصيدة فإننا أوردنا بكل أمانة ترجمة الأستاذ مرزاق بقطاش الذي قدّم القصيدة مترجمة بنصها العربي فقط في مقاله السابق الذكر ، وقمنا نحن بإضافة النص الأصلي بالفرنسية من المصدر مباشرة .
- ³ - سامية أبو عمران، الأمير عبد القادر الجزائري رمز المقاومة الجزائرية، مجلة المصادر، العدد 11، 2005 م، ص ص 73-76.
- ⁴ - عبد القادر الملق، سلوكيات و أخلاقيات الأمير عبد القادر الجزائري وجنده في الحرب" معاملة أسرى الحرب من الفرنسيين أنموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، المجلد 9، العدد 1، 2019 م، ص 155.
- ⁵ - حول معارك الأمير عبد القادر مع فرنسا ينظر : Annuaire civil Militaire De l'Algerie pour 1848 et 1857, Librairie Rousset , Conquête De l'Algerie 1841-1857, plon,pais, 1904, pp 81-231.
- ⁶ - Camille Rousset, op-cit, p29-31
- ⁷ - يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999 م، ص 236.
- ⁸ - قوراري سليمان، شخصية الأمير عبد القادر وتجلياتها من خلال بعض المؤلفات، مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية، العدد 31، 2014 م، ص 57.
- ⁹ - نفسه، ص 58.
- ¹⁰ - نفسه، ص 59.
- ¹¹ - مصطفى أوشاطر، شخصية الأمير عبد القادر الأسطورية في المخيال الشعبي الجزائري، بحوث سيميائية، المجلد 7، العدد 12، 2017 م، ص 266.
- ¹² - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 239-240.
- ¹³ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، عالم المعرفة، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص 132.
- ¹⁴ - نفسه، ص ص 131-132.
- ¹⁵ - عبد الحميد حاجيات، الأمير عبد القادر وإنتاجه الأدبي، مجلة التاريخ، عدد خاص، السنة 13، العدد 75، الجزائر، 1983، ص ص 81-83.
- ¹⁶ - نفسه، ص 84.
- ¹⁷ - أنيسة بركات، الجانب الأدبي من شخصية الأمير عبد القادر، مجلة التاريخ، عدد خاص، السنة 13، العدد 75، الجزائر، 1983، ص ص 106-107.
- ¹⁸ - قوراري سليمان، المرجع السابق، ص 59.
- ¹⁹ - نفسه، ص ص 63-65.
- ²⁰ - Mohamed Chrif Sahli , Abdelkader le chevalier de la foi , ANEP, 2012, pp81-95
- ²¹ - محمود بوعبيد، عبد القادر الإنسان، مجلة الثقافة، عدد خاص، السنة 13، العدد 75، جوان 1983 م، ص ص 279-281.
- ²² - مصطفى أوشاطر، المرجع السابق، ص 264.
- ²³ - Alfred Boissenot, l'islam et la guerre d' Algerie ; C.E.L.Editeur ; 1977 ; p p 67-68.
- ²⁴ - عبد القادر الملق، المرجع السابق، ص ص 157-158.
- ²⁵ - قوراري سليمان، المرجع السابق، ص 56.
- ²⁶ - jean- François, condette publications de echerche pédagogique, Année 2/12/2006, pp 347-348.

